بها حُجُراتٌ كان ينزلُ وَسْطَهَا ... من اللّهِ نورٌ يُسْتَضَاءُ ويُوقَدُ
معارِفُ لم تُطْمَسْ على العَهْدِ آيُها ... أتاها البِلَى فالآيُ منها تَجَدَّدُ
عَرَفْتُ بها رَسْمَ الرّسول وعَهْدَهُ ... وَقَبْراً بها واراهُ في التُّرْبِ مُلْحِدُ
ظلِلْتُ بها أبْكِي الرّسُولَ فَأسْعَدَتْ ... عُيونٌ ومِثْلاها من الجَفْن تُسْعِدُ
يُذَكِّرْنَ آلاءَ الرّسول وما أرَى ... لها مُحْصِياً نَفْسِي فنفسي تَبَلَّدُ
مُفَجَّعَةً قد شَفَّها فَقْدُ أحْمَدٍ ... فظَلَّتْ لآلاءِ الرّسُول تُعَدِّدُ
فبُورِكْتَ يا قَبْرَ الرّسول وبُورِكَتْ ... بلادٌ ثَوَى فيها الرّشِيدُ المُسَدَّدُ
وبُورِكَ لَحْدٌ مِنكَ ضُمِّنَ طَيِّباً ... عَلَيْه بِناءٌ من صَفِيح مُنَضَّدُ
تُهيلُ عليه التُّرْبَ أيدٍ وأعْيُنٌ ... عليه وقد غارَتْ بذلِكَ أسْعُدُ (١)

ونلاحظ في هذه الأبيات – فضلاً عمّا نلمسه فيها من حرارة التّفَجُّع وحُرقة الألم – كيف وظّف الشّاعر المقدّمة الطّلَليّة المعتادة عند الشُّعراء توظيفاً جديداً ؛ فكما كان الشّاعر الجاهليّ يقف على آثار المحبوبة البالية فيثير فيه ذلك مشاعرَ من الحزن والحنين ، نرى حسّانَ هنا يقف على المعاهد التي كان الرّسول ﷺ يتنقّل بينها : مصلاه في مسجده ، وحجراته التي كان يقيم فيها ، ومجالسه في رحاب طيبة (المدينة المنورة) ؛ فيثير ذلك في نفس الشّاعر فيضاً من الألم المتجدّد لفراق الرّسول . ويستحضر صورة الرّسول بعد وفاته ، وكيف أودعه أصحابه قبرَه الشّريف يهيلون عليه التُّراب ، ويغطّونه بألواح الحجارة ، فلا يملك إلا البُكاء ، وكأن الدُّنيا قد أظلمت بعده حتى غارت نجوم السّماء .

---

(١) طيبة : هو اسم مدينة الرسول ﷺ ؛ تهمد : تبلى وتندثر ؛ المُلْحِد : الذي يضع الميت في قبره ؛ تسعد : تعين؛ الآلاء : النّعم ؛ شَفّها : أضعفها ؛ الصّفيح : الحجارة العريضة ؛ المنضد : الذي نظم بعضه فوق بعض ؛ الأسعد : النجوم .